النور الوضّاء في الفرق بين الضاد والظاء

د/ رجاء محمد يعقوب الهوساوي

المملكة العربية السعودية - وزارة التعليم العالي - جامعة الطائف

- كلية الشريعة والأنظمة - قسم القراءات

المقدمة:

الحمد لله الذي أودع في كتابه أسرار البيان،وجعله علما على معالم الهدى ورسالة خالدة على مر الزمان،وتحدى به الناس على اختلاف ملكاتهم وتعدد قدراتهم ليظل آياته الخالدة وهداه المحكم الذي ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾(١)، ثم وفق أهل العلم إلى بيان أحكامه والكشف عن دلالاته وإظهار إعجازه للعالمين.فليس كتاب في هذا الوجود نال من العناية على مر الدهور ما نال هذا الكتاب العظيم ولا جرى له من الذكر، واهتم بإتقانه الأفاضل المحدثون الأبرار ، الذين تلقوها وأتقنوها ،وأقرأوها وصنفوا فيها فلم يتركوا في هذا العلم صغيرة ولا كبيرة إلا بحثوا فيها ودونها ، فبينوها ووضحوها،ولم يدعو مجالاً للشك في شيء منه، فلا يزال هذا القرآن دفاق الفيض مستمر العطاء، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، فقد تعاقبت عليه أفهام العلماء على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم، فتظهر فيه المفسر،وتأمل فيه الفقيه،وتوقف عنده المتكلم، فلم يمنع واحدا منهم ووجد كل واحد منهم فيه مبتغاه وقصده ، وهو مع ذلك متجدد المعاني مع تجدد الأيام، وهذا من دلائل إعجازه الذي بهر به العالمين من لدن محمد صلى الله عليه وسلم ولا يزال مستمراً حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وبعد....

فإن اللغة هي قلب الهوية الوطنية وروح الأمة، وهي أداة الفكر التي يعبّر بها الإنسان عن واقعه وهمومه وطموحه وإبداعه، وهي الإطار الذي يتم من خلاله الانتماء والولاء للدولة والأمة، والمؤشر على قوة الأمة أو ضعفها. لذلك

(١) سورة فصلت آية[٤٢].

فإننا نجد كل الدول تحرص بقوة على تجنيد كل الوسائل للحفاظ على لغتها الوطنية من أي تأثيرات ضارة والدفاع عنها في مواجهة تأثير اللغات الأخرى، حتى لا يحدث لها مثلما حدث لباقي اللغات التي ماتت ، ولعلنا من خلال البحث في مضامين هذا المقال وجدنا مدى ما حظيت به اللغة العربية من اهتمام الأئمة الأعلام قديماً وتجنيد أقلامهم وشحذ هممهم في الكتابة لها وعنها في سبيل الحفاظ عليها كإرث يعزز الهوية العربية بعد كونها لغة القرآن الكريم ، وما ذلك إلا لأنها بالإضافة لكونها لغة القرآن الكريم فهي لغة الحديث النبوي الشريف، ولغة العبادة والثقافةوالحضارة الإسلامية ، واللسان المشترك الذي يجمع اليوم أكثر من مليار مسلم على وجه الأرض،كما أنها لغة التفكير العلمي والإبداع والابتكار الذي يحقق للأمة القوة والطاقة والإنجازوالاختراع والتقدم.

فلا عجب عندها أن نرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل والمروءة) ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن : (مُر من قبلك بتعلم العربية فإنها تدل على صواب الكلام ، ومُرهم برواية الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق) ، وكتب إليه أيضاً قائلاً : (تعلموا العربية فإنها من دينكم وأعربوا القرآن فإنه عربي) .

إلا أنه بتعاقب الأزمان بدأت تظهر على ملامح هذه الجميلة تشوهات أعملها فيها أبناؤها بسبب تداخل الكثير من العوامل التي أضعفت حظوتها بالمكانة لديهم كتواجد اللسان الأعجمي وهجمات المغرضين بهدف إنشاء جيل متذبذب الهوية ، ضعيف الانتماء لعروبته.

لذلك فقد أكثر علماء الأئمة الذين قيضهم الله للتأليف والتصنيف في دقائق اللغة العربية من دراسة قواعدها وظواهرها ، ولعل من أهم القضايا وأقدمها قضية التفريق بين الضاد والظاء ، فبسط المتقدمون القول في صفة الضاد

ومخرجها، ومايلتبس بها من أحرف في العربية وكان للظاء من ذلك نصيب موفور، حتى وجدنا عدداً ليس بالقليل من رسائل اللغة يكتبها أصحابها لبيان الفرق بين الضاد والظاء ، كما تحدثوا عن أحكام إدغامه في غيره وإدغام غيره فيه،وغيرها من المسائل المتعلقة بجانب هذا الموضوع ومن ثم كان همي في هذا البحث أن أسلط الضوء على أهم المسائل التي تناولت كلا الحرفين لنقيم الموازين القسط في هذا المشكل على نحوٍ بدا لي أن أعتبره يلقي ظلال الشك وطرحهاعن كثير من مظاهر الإجماع في هذه المسائل .

ومن هنا فقد اعتمدت في هذا االبحث على إيضاح المسائل الآتية:

أولاً: تعريف الضاد والظاء.

ثانياً:بيان مخرج وصفة الضاد والظاء.

ثالثاً: الفرق بين الضاد والظاء.

رابعاً: أحكام خاصة باللحن في الحرفين وحكم الخلط بينهما.

خامساً:أماكن وجود الضاد في القرآن الكريم.

سادساً:القدر المشترك بين الضاد والظاء:

سابعاً: العربية لغة الضاد .

ثامناً: **حديث (أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّاد) هل هو صحيح؟.**

تاسعاً: اختصاص القبائل العربية بحرفي الضَاد والظاء أو الخلط بينهما.

عاشراً:التأليف في بيان الفرق بين الضاد والظاء.

هذا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خير البرية وعلى آلة وسلم تسليماً كثيرا .

أولا: تعريف الضاد والظاء كحرف من حروف الهجاء:

تعريف الضاد: "الضاد حرف هجاء، وهو حرف مجهور، وهو أحد الحروف المستعلية، يكون أصلاً لا بدلاً ولا زائدًا، والضاد للعرب خاصة ولا توجد في كلام العجم إلا في القليل،(١) ولذلك قيل في قول أبي الطيب:

وَبِهِمْ فَخْرُ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّادَ وَعَوْذُ الجَانِي وَغَوْثُ الطَّرِيدِ

ذهب به إلى أنها للعرب خاصة... ".(٢)

تعريف الظاء: الظاء روى الليث أن الخليل قال: الظاء حرف عربي خُصَّ به لسان العرب لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم ، والظاء من الحروف المجهوره، والظاء والذال والثاء في حيِّز واحد، وهي الحروف اللِّثَوِيَّة، لأن مبدأها من اللِّثة، والظاء حرف هجاء يكون أصلاً لا بدلاً ولا زائداً، قال ابن جنى: ولا يوجد في كلام النَبط ؛ فإذا وقعت فيه قلبوها طاء . و(ظا) قال ابن برى: الظاء حرفٌ مُطْبَقٌ مُستعْلٍ ، والله أعلم .(٣)

(١)انظر:لسان العرب٥:/٤٤٧مادة (ض و د) لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرمابن منظور،:١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م القاهرة : دار الحديث،

(٢) انظر: "شرح ديوان المتنبي": ١ /٢٠٩، القاهرة ١٩٣٠م.

(٣) انظر: لسان العرب:٦/ ٥

ثانيا: بيان مخرج وصفة الضاد والظاء .

مخرج الضاد:فالضاد تخرج من إحدى حافتي اللسان مع أطراف الثنايا العليا وخروجها مع الجهة اليسرى أسهل وأكثر استعمالاً ومن اليمنى أصعب وأقل استعمالاً ومن الجانبين معاً أعز وأعسر،فهو أصعب الحروف وأشدُّها على اللسان.(١)قال مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ): "الضاد تخرج من المخرج الرابع من مخارج الفم من أول حافة اللسان ومايليه من الأضراس، وهو حرف قوي لأنه مجهور مطبق من حروف الإستعلاء، وفيه استطالة".(٢)

وقال:" الحرف المستطيل وهو الضاد، سميت بذلك، لأنها استطالت على الفم عند النطق بها، حتى اتصلت بمخرج اللام، وذلك لما اجتمع فيها من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء فقويت بذلك واستطالت في الخروج من مخرجها حتى اتصلت باللام لقرب اللام من مخرجها".(٣)ولا يوجد في لغة غير العربية ولذلك تَسمى لغة الضاد. وهذا المخرج المتقدم إنما هو خاص بالضاد وحدها ، لا يشاركها فيهغيرها ، وبذلك فالضاد متميزة عن غيرها كل التميز، إذ أن فائدة

---

(١)انظر: :هداية القاري إلى تجويد كلام الباري:لعبد الفتاح السيد عجمي المرصفي مكتبة دار الفجر الإسلامية المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م ٦٦/١، وضاد العربية في ضوء القراءات القرآنية، د.عبد اللطيف محمد الخطيب، عالم الكتب الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ _٢٠٠١م. ص٦٥.

(٢)الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق:أ.د/أحمد حسن فرحات، عمان :دار عمار، الطبعة الخامسة ١٤٢٨هـ _٢٠٠٨م.ص١٨٤ .

(٣)المرجع السابق ص١٣٤.

المخارج تمييز الحروفعن بعضها ، وقد ذهب بعض الناس إلى أن الصحيح في نطق الضادأن تكون شبيهة بالظاء حتى يصعب التمييز بينهما مستدلين لذلك.

بكلام العلامة ابن الجزري وغيره من علماء اللغةوالقراءات بأن الضاد أصعب الحروف العربية ،

وأنه لولا مخرج الضاد واستطالتها لكانتظاء.[١]

صفات الضاد: (الجهر، الرخاوة، الاستعلاء، الإطباق، الإصمات، الاستطالة)

مخرج الظاء: فالظاء فتخرج من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا أي رؤوسها.[٢]

قال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): "الظاء تخرج من المخرج العاشر من مخارج الفم، وذلك مابين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، والظاء حرف مطبق مستعل مجهور قوي فيها رخاوة".[٣]

وقال:" والظاء أضعفها في الإطباق، لرخاوتها وانحرافها إلى طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا".[٤]

---

(١)انظر:شرح المقدمة الجزريه في علم التجويد: لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري(ت٩٢٦هـ)علق عليه محمد غياث صباغ، ط٤، ١٤٢٧هـ_٢٠٠٦م.ص٨٨.

(٢)- انظر:هداية القاري إلى تجويد كلام الباري:٦٨/١.

(٣)- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة: ص٢٢٠.

(٤)-المرجع السابق ص١٢٣.

صفات الظاء:

(الجهر،الرخاوة،الاستعلاء،الإطباق،الإصمات)

ثالثاً: الفرق بين الضاد والظاء:

أخذ صوت الضاد أهمية بالغة عند العرب ،كان لصوت الضاد عندهم شكل كتابي واحد، وله أشكال نطقية مختلفة، فهو قد ينطق بكيفيات مختلفة منها ما هو تاريخي عُرف من وصف علماء العربية القدماء ، ومنها ما هو مسموع في استعمال الناس اليوم. على أن أبرز قضية في نطق الضاد مشابهتهلنطق صوت آخر هو (الظاء)، ولشدة هذا الشبه اختلط على الناس نطق الكلمات الضادية والظائيةوأورث هذا خلطًا في كتابة الكلمات أيضًا، وظهر هذاجليًّا في الأسماء والكلمات الدارجة في اللهجات . ولذلك نجد أن أكثر علماء اللغة المعنيين بالساميات يميلون إلى أن الضاد هي ظاء جانبية، والمتأمل بنطق بعض العرب للضاد يجدونهم ينطقونها نطقًا مطابقًا للظاء، ومن هنا جاء إلحاح علماء القراءات على وجوب التمييز بين الصوتين لما قرروه من شدة تقاربهما في الصوت ، ولذلك هم يميلون إلى أن الظاء أصل للضاد صوتيًّا، ولذا ذهبوا إلى أن الضاد صورة صوتية من الظاء.

وأما الكتابة بحرفين مختلفين هما الضاد والظاء فأمر له نظائره في لغات أخرى، وهو أمر لا يمكن تغييره بسهولة فدعا إلى الإبقاء عليه مع الحرص على التفرقة بين ما هو ضادي وما هو ظائي.

ومن خلال ما سبق يتضح الآتي من الفروق بينهما:

١-الضاد تختلف عن الظاء في المخرج.

٢-الضادتتميز عن الظاء بصفة الاستطالة.

٣-الضاد تنطبق فيها حافة اللسان على الأضراس،وباقي اللسان ينطبق عليه الحنك، والظاء ينطبق فيه الحنك على مخرجه، أي على طرف اللسان.

٤-الضادأقوى من الظاء في الإطباق.

٥-الضادتزول إذا فقدت صفة الإطباق، والظاء تتحول إلى ذال إذا فقدت الإطباق.

٦-الضاد أقوى من الظاء في الجهر.

٧- الضاد أقل رخاوة من الظاء.

٨-الضاد لا يشاركها في المخرج غيرها من الحروف، والظاء يشاركها الذال والثاء.

٩-الضاد من الحروف الشجرية، والظاء من الحروف اللثوية.

١٠- الضاد تتصف بالتفشي، والظاء ليس كذلك.

١١- الضاد تخالط ما يليها في المخرج، والظاء ليس كذلك.

١٢- الضاد ينفذ نفخها بين الأضراس عند الوقوف عليها والظاء ينفذ نفخها بين الثنايا.

١٣- الضاد فيها كلفة على اللسان عند النطق بها، والظاء ليس كذلك.

١٤- الضاد تخرج من أحد ثلاثة مخارج، والظاء لا تخرج إلا من مخرج واحد.[١]

(١)انظر: الأقوال الجلية في الضاد الظائية والضاد الطائية،٢٦،٢٧، السيد بن أحمد بن عبد الرحيم، مكتبة الملك فهد الوطنية،الطبعة الأولى١٤٢٤هـ_٢٠٠٣م،

رابعاً: أحكام خاصة باللحن في الحرفين وحكم الخلط بينهما:

حكم إبدال حرف الضاد بحرف الظاء في سورة الفاتحة:

نعلم أن الفاتحة لا تصح عند إبدال حرف بحرف آخر بل قد يتغير المعنى أيضاً ولكن !!

هل تصح إذا قلبت الضاد ظاءاً في سورة الفاتحة في قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؟[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) –رحمه الله– (وأما من لايقيم قراءة الفاتحة فلا يصلى خلفه إلا من هو مثله فلا يُصلى خلف الألثغ الذي يبدل حرفاً بحرف إلا حرف الضاد إذا أخرجه من طرف اللسان كما هو عادة كثير من الناس فهذا فيه وجهان:

الوجه الأول: منهم من قال لا يصلى خلفه ولا تصح صلاته في نفسه لأنه أبدل حرفاً بحرف لأن مخرج الضاد الشدق و مخرج الظاء طرف الأسنان فإذا قال: (ولاالظالين) كان معناه ظل يفعل كذا.

الوجه الثاني : تصح وهذا أقرب لأن الحرفين في السمع شيء واحد وحس أحدهما من جنس حس الآخر لتشابه المخرجين والقارئ إنما يقصد

(١)سورة الفاتحة آية ٧.

الضلال المخالف للهدى، وهو الذي يفهمه المستمع، وأما المعنى المأخوذ من ظل فلا يخطر ببال أحد.....إلخ)[1]

فالقول الأول واضح الدلالة على عدم صحة الضاد الظائية، ولهذا فهو الأرجح عند المتقدمين على شيخ الإسلام ابن تيمية.

وأما ما جاء من كلام شيخ الإسلام عن الحرفين في الوجه القائل بصحة الصلاة ، لا يفيد صحة الضاد الظائية كما فهمه بعضهم ، بل يؤكد عدم صحتها ، وذلك لما فيه من محاولة تلمس الأسباب التي يعذر بها القارئ في عجزه عن تصحيح الحرف ، وهذا من حرص شيخ الإسلام في رفع الحرج عن العاجز.[2]

(١)انظر:مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية:٢٢/٤٤٣- ٤٤٤،جمع وترتيب،عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،١٤٢٥هـ _٢٠٠٤م،ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة: عبد العزيز بن عبد الرحمن بن باز (ت: ١٤٢٠هـ) . رحمه الله . ١٢/ ٩٨- ٩٩، جمع وترتيب د.محمد بن سعد الشويعر.رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، الطبعة الثانية١٤٢١هـ.

(٢)انظر: الأقوال الجلية في الضاد الظائية والضاد الطائية:٤٧- ٤٨،السيد بن أحمد بن عبد الرحيم، مكتبة الملك فهد الوطنية،الطبعة الأولى١٤٢٤هـ _٢٠٠٣م.

أمثلةً توضح اختلاف المعنى عند نطق الضاد ظاءً والعكس:

وسيكون التوضيح عن طريق الجدول لكي يسهل الوصول إلى الكلمة :

نوع القلب	الكلمة	قلب الحرف	المعنى الأصلي	المعنى عند القلب
عند نطق الضاد ظاءً	الضالين	الظالين	الخارجين عن طريق الحق	الدائمين
	نَضرة	نظرة	من(النضارة)الجمال	رؤية
	الفض	الفظ	التفرقة	الكريه الخلق
عند نطق الظاء ضاداً	الظن	الضن	الشك من (الكافر) اليقين من (المؤمن)	البخل
	الغيظ	الغيض	الغضب	التفرقة
	الحظ	الحض	النصيب	التحريض

خامساً :أماكن وجود الضاد في القرآن الكريم.

اهتم العلماء اهتماما بالغاً بحصر الظاءات وموادها التي وردت في القرآن الكريم وأفردوها بالتأليف نثراً ونظما كالحافظ أبي عمرو الداني(٤٤٤هـ) وابن الجزري(٨٣٣هـ) وغيرهم رحمهم الله . وإنما فعلوا ذلك لقلتها بالنسبة إلى الضاد ومن ثم يؤخذ من حصرهم للظاءات الواردة في القرآن الكريم أن ما سواها فيه هو بالضاد المعجمه لفظاً وكتابة.

وجملة ماورد في القرآن الكريم من الظاءات حسبما جاء في المقدمة الجزريه هي كالآتي:

اللفظ الأول: (الظعن) ولم يأت منه في القرآن إلا موضع واحد: **[وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ]** (١)

اللفظ الثاني:(ظِلٌّ) وقع منه في القرآن اثنان وعشرون موضعاً أولها: **[وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ]**(٢). ومنه" الظلة" وقع منه في القرآن موضعان: **[وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ**

(١)- سورة النحل: آية ٨٠

(٢)- سورة البقرة: آية ٥٧

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2]

اللفظ الثالث: (الظَّهر) وقع منه في القرآن موضعان: **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ﴾[3] **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[4]

اللفظ الرابع: (العُظْم) من العظمة وقع منه في القرآن مائة وثلاثة مواضع أولها **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[5]

اللفظ الخامس: (الحفظ) وقع منه في القرآن اثنان وأربعون موضعاً، أولها **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾[6]

اللفظ السادس: (أيقظ) من اليقظة ولم يأت منه في القرآن إلا موضع واحد **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾[7]

اللفظ السابع: (النظر) من الإنظار وهو التأخير وقع منه في القرآن اثنان

---

(١)- سورة الأعراف: آية ١٧١
(٢)- سورة الشعراء: آية ١٨٩
(٣)- سورة النور: آية ٥٨
(٤)- سورة الروم: آية ١٨
(٥)- سورة البقرة: آية ٧
(٦)- سورة البقرة: آية٢٥٥
(٧)- سورة الكهف: آية ١٨

وعشرون موضعاً، أولها **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ** ﴾[1]

اللفظ الثامن: (العَظْم) وهو العَظْم المعروف وقع منه في القرآن خمسة عشر موضعاً أولها**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ** ﴾[2]

اللفظ التاسع: (الظهر) وقع منه في القرآن أربعة عشر موضعاً، أولها**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ** ﴾[3]

اللفظ العاشر: (اللفظ)بمعنى التلفظ لم يأت منه في القرآن إلا موضع واحد**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ** ﴾[4]

اللفظ الحادي عشر:(ظاهِر)ضد الباطن وقع منه في القرآن ستة مواضع:أولها**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ** ﴾[5]وبمعنى الإعانة وقع منه في القرآن ثمانية مواضع،أولها**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ** ﴾[6]وبمعنى العلو وقع منه في القرآن ستة مواضع ، أولها **قَالَ تَعَالَىٰ:**

(١)- سورة البقرة: آية١٦٢
(٢)- سورة البقرة: آية ٢٥٩
(٣)- سورةالبقرة: آية ١٠١
(٤)- سورةق: آية ١٨
(٥)- سورةالأنعام: آية ١٢٠.
(٦)- سورةالبقرة: آية ٨٥.

﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[1] وبمعنى الظفر وقع منه في القرآن ثلاثة مواضع، أولها **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ ﴾[2] وبمعنى الظهار وقع منه في القرآن ثلاثة مواضع، أولها **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ ﴾[3]

اللفظ الثاني عشر: (لظى) وقع منه في القرآن موضعان: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴾[4] **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾[5]

اللفظ الثالث عشر: (شُواظ) ولم يأت منه في القرآن إلا موضع واحد **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ ﴾[6]

اللفظ الرابع عشر: (الكظم) وقع منه في القرآن ستة مواضع: أولها **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾[7]

اللفظ الخامس عشر: (الظلم) وهو وضع الشيء في غير موضعه. وقع منه في

(١)- سورة التوبة: آية ٣٣.
(٢)- سورة التوبة: آية ٨.
(٣)- سورة الأحزاب آية ٤
(٤)- سورة المعارج: آية ١٥
(٥)- سورة الليل: آية ١٤
(٦)- سورة الرحمن: آية ٣٥
(٧)- سورة آل عمران: آية ١٣٤

القرآن مائتان واثنان وثمانون موضعاً: أولها**قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١)

اللفظ السادس عشر:(الغلظ) من الغلاظه وقع منه في القرآن ثلاثة عشر موضعاً: أولها **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ ﴾(٢)

اللفظ السابع عشر:(الظلام) وقع منه في القرآن مائة موضع: أولها**قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾(٣)

اللفظ الثامن عشر:(الظُفْر) ولم يأت منه في القرآن إلا موضع واحد**قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾(٤)

اللفظ التاسع عشر:(انتظر)من الانتظار بمعنى الارتقاب وقع منه في القرآن ثلاثة مواضع: أولها**قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾(٥)

اللفظ العشرون:(الظمأ) وقع منه في القرآن ثلاثة مواضع: أولها **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ لَا

(١)-سورةالبقرة: آية ٣٥
(٢)- سورةآل عمران:آية ١٥٩
(٣)- سورةالبقرة: آية ١٧
(٤)- سورةالأنعام: آية ١٤٦
(٥)- سورةالأنعام:آية ١٥٨

يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ﴾[1]

اللفظ الحادي والعشرون:(أظْفَر) من الظَّفَر بمعنى النصر،ولم يأت منه في القرآن إلا موضع واحد**قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾[2]

اللفظ الثاني والعشرون:(الظن) كيف جاء وقع منه في القرآن سبعة وستون موضعاً: أولها **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ ﴾[3]

اللفظ الثالث والعشرون:الوعظ) بمعنى التخويف من عذاب الله والترغيب في ثوابه، وقع منه في القرآن تسعة مواضع: أولها **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[4]سوى "عضين" من قوله **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾[5]فإنه بالضاد

اللفظ الرابع والعشرون:(ظل) بمعنى الدوام وقع منه في القرآنتسعة مواضع:أولها **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾[6]

اللفظ الخامس والعشرون:الحظر) بمعنى المنع والحجر لم يأت منه في القرآن

---

(١) – سورة التوبة: آية ١٢٠

(٢)– سورةالفتح: آية٢٤

(٣)– سورةالبقرة: آية ٤٦

(٤)– سورةالبقرة:آية ٦٦

(٥)– سورة الحجر:آية ٩١

(٦)– سورةالنحل:آية ٥٨

موضع واحد **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾[1]

اللفظ السادس والعشرون:(المحتظِر)بمعنى صاحب الحظيرة لم يأت منه في القرآن موضع واحد**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴾[2]

اللفظ السابعوالعشرون: (الفظ) لم يأت منه في القرآن موضع واحد **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ ﴾[3]

اللفظ الثامن والعشرون: النظر) جميع ماورد في القرآن بمعنى الرؤية وقع منه في القرآن ستة وثمانون موضعاً أولها**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾[4]إلا**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾[5]**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ نَضۡرَةً وَسُرُورًا ﴾[6]**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴾[7]فإن الثلاثة بالضاد لا بالظاء، وهي من النضارة أي الحسن.

اللفظ التاسع والعشرون:(الغيظ) بمعنى شدة الغضب والفوران وقع منه في

(١)- سورةالإسراء: آية ٢٠
(٢)- سورةالقمر:آية ٣١
(٣)- سورةآل عمران:آية ١٥٩
(٤)- سورةالبقرة: آية ٥٠
(٥)- سورةالمطففين:آية ٢٤
(٦)- سورة الإنسان:آية ١١
(٧)- سورةالقيامة: آية ٢٢

القرآن أحد عشر موضعاً: أولا **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ** ﴾[1] إلا **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ** ﴾[2] **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ** ﴾[3] فإنهما لكونهما من "الغيض" بمعنى النقص، بالضاد لا بالظاء.

اللفظ الثلاثون: (الحظ) بمعنى النصيب وقع منه في القرآن سبعة مواضع: أولها **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظًّا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ** ﴾[4] إلا **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ** ﴾[5] **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ** ﴾[6] فإن الثلاثة لكونها من الحض . بمعنى الحث . بالضاد لابالظاء

اللفظ الحادي والثلاثون: (ضنين) لم يأت منه في القرآن إلا لفظ واحد **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ** ﴾[7] وهذا هواللفظ المختلف فيه بين القرآن

(١)- سورةآل عمران: آية ١١٩
(٢)- سورةالرعد: آية ٨
(٣)- سورةهود: آية ٤٤
(٤)- سورةآل عمران:آية ١٧٦
(٥)- سورةالحاقة: آية ، ٣٤وسورة الماعون:آية ٣
(٦)- سورةالفجر: آية ١٨
(٧)- سورةالتكوير:آية ٢٤

فقد قرأه بعض القراء بالظاء بمعنى متهم ،وقرأه بعض القراء بالضاد المعجمه بمعنى بخيل.

وماسوى هذه الألفاظ الجامعة للظاءات فإنه بالضاد لفظا وكتابة[1]

سادساً:القدر المشترك بين الضاد والظاء:

قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ):" والضاد والظاء اشتركا صفة، جهراً ورخاوة واستعلاء

وإطباقاً.....)[2]

ولهذا قال في المقدمة :

٥٢. والضاد باستطالة ومخرج ميز من الظاء.....[3]

سابعاً:العربية لغة الضاد:

إن تفرد العربية بحرف الضاد واختصاصها به دون غيرها من اللغات حتى إن العرب يطلقون على لغتهم مفتخرين لقب «لغة الضاد»، وبهذا تغنّى شعراؤهم ،

(١)- انظر:هداية القاري:١/١٤٠- ١٥١، وشرح المقدمة الجزرية في علم التجويد: ٨٨ . ٩٣.

(٢)-النشر: لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي١/٢١٤.

(٣)-شرح المقدمة الجزرية :ص٨٨.

هو أمر لا يكون الحكم فيه إلا بعد استقراء جميع اللغات وهيهات لإنسان أن يستقرئ جميع اللغات .قال الإمام الشافعي رحمه الله عن اللغة الواحدة : (لا يحيط باللغة إلا نبي) يعني إلا رجل يوحى، إليه لأن اللغة العربية مثلا واسعة والعرب منتشرون في الجزيرة العربية في فترة نزول الوحي فلا يستطيع أن يقول إنسان هذا هو الكلام العربي كاملا فكيف بالإحاطة باللغة حتى علماء العربية لم يُدَوِّنوا كل ما تكلمت به العرب بل ذكروا المشهور من لغة العرب وأخرجوه لنا في صورة قواعد النحو والصرف . ولكن مختصين هناك مشتغلين بعلم اللغات المقارن هؤلاء يستطيعون أن يقولوا أن حرف الضاد انفردت به اللغة العربية أم لا حسب ما تيسر لهم من الدراسة أما كونهم يحيطون بعلم اللغة ككل فهذا ضرب من الخيال[1] . فقد ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين [2]قول الأصمعي بقوله: (وقال الأصمعي : ليس للروم ضاد ولا للفرس ثاء ولا للسريان ذال ..) ، وهذا القول الذي عزاه الجاحظ في القرن الثالث الهجري إلى الأصمعي لا يؤكد ولا ينفي بصورة قاطعة ما تردد في القرون التالية بعده من تفرد العرب بصوت الضاد أو غيره من الأصوات الدارجة.

ويذكر الدكتور إبراهيم أنيس أنه تتبَّع اهتمام العلماء بحرف الضاد خاصة ، ومن ثَمَّ تلقيب العربية بلغة الضاد ،فيبدأ أولا بأن سيبويه لم يُشِر في كتابه مطلقا إلى تَمَيّز اللغة العربية بالضادرغم أنه عالم اللغة الأول .

وبعد وفاةا لجاحظ ينتهي العصر الأول الذي لم ترد فيه تسمية العربية)

١- بحث بعنوان (صوت الضاد الفصيحة التي نزل بها القرآن) لأستاذ سيد عرباوي ، بتصرف .

٢- البيان والتبيين للجاحظ (٦٩/١)

بلغة الضاد، وبعد وفاة مات الجاحظ بدأت الانتقالة سريعة في سريان الخطأ في نطق الضاد عند الداخلين في العربية،فظهرت المؤلفات التيبدأت تحصر الألفاظ التي فيها ضاد والتي فيها ظاء لظهور مسألة عدم التفريق بينهما، ولتكونمساعدة في تقويم الكتابة بهذين الحرفين وذلك مثل الكتاب الذي وضعه الصاحب بن عباد وسماه (الفرق بين الضاد والظاء) .

وهنا لأول مرة بدأنا نسمع عن اختصاص العربية وحدها بالضادوعن تسميتها بلغة الضاد ، فيقول المتنبي في قصيدته التي مطلعها:

كم قتيل كما قتلت شهيد *** لبياض الطّلى و ورد الخدود**

لا بقومي شرفت بلشرفوا بي *** وبنفسي فخرت لا بجدودي**

وهم فخر كلمن نطق بالضاد *** وعوذالجاني وغوث الطريد**

وقد جاءت الكثير من الشروحات على هذه القصيدة للمتنبي وخصوصاً على البيت الذي تفاخر فيه بنطق الضاد وهو شروحات أشرت إلى تفرد العربية بالضاد فعلى سبيل المثال جاء في شرح البرقوقي قوله :

كل من نطق الضاد: العرب، لأن الضاد لا توجد في غير العربية. يقول: على أنه بقومي فخر العرب جميعا، وبهم عوذ الجاني: أي أن من جنى جناية وخاف على نفسه لجأ إلى قومي ليأمن على نفسه، وبهم غوث الطريد- وهو الذي نفي وطرد- أي أنه يستغيث بهم فيغيثونه وينصرونه[1].

١- شرح ديوان المتنبي ، لعبد الرحمن البرقوقي المجلد الأول (٢/ ٤٧) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط١٤٠٧ – ١٩٨٦ م .

وأما عن تسمية العربية بلغة الضادفقد ظهر على الأرجح أنها ترجع إلى القرن الرابع الهجري فقد شاعت وذاعت حينئذ للتمييز بين العرب وغيرهم من الفرس والأتراك ، وكان هذا في بغداد وربما كان ذلك عبر أقدم مصدر لغوي يشير إلى سبب هذه التسمية وهو كتاب "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها" لأحمد بن فارس، أحد كبار أئمة العربية فيالقرن الرابع للهجرة، قال أحمد بن فارس – في باب الحروف –: "فأصل الحروف الثمانية والعشرين التي منها تأليف الكلام كله....فأول الحروف (الهمزة)... ومما اختصت به لغة العرب (الحاء) و(الظاء)، وزعم ناس أن (الضاد) مقصورة على العرب دون سائر الأمم"[1]، ومن هنا انتقلت التسمية إلى البلاد العربية الأخرى وأصبحت قضية مسلّمة دون تفكير في أصل منشئها ودون الاهتداء إلى المسئول الأول عنها.

وفي ذلك يقول الدكتور حسن ظاظا ([2]) الذي يرى أن الضاد من الأصول السامية التي شرفت العربية بالاحتفاظ بها ، حين أجمل وأوجز قولاً أثيراً يحمل في كنفه الكثير من المعاني التي نشعر بها اليوم كعرب ولا نستطيع التعبير عنها بالقدر الكافي يقول الدكتور حسن : (فعندما نقول أن اللغة العربية هي لغة الضاد فإننا نستحضر تاريخا سحيقا ضاع منالوثائق، وبقي في عجينة الألفاظ وفي معانيها وفي أصواتها ، يشهد بأن العربيةالفصحى أبعد مدى وأرسخ قدما في علاقة الإنسان باللسان مما سجله علماؤها الذينقيَّدتهم النصوص ، ورواية الرواة

١– انظر "الصاحبي" ص ٧١، تحقيق ونشر محب الدين الخطيب – المكتبة السلفية – القاهرة ١٩١٠م.

٢– باحث ولغوي وأكاديمي معروف ، كانت له زاوية أسبوعية بجريدة الرياض بعنوان (كشكول) ، توفي بالرياض عام ١٤١٩ هـ .

فلم يستطيعوا تحطيم حائط الجاهلية الأخيرة وهو إلىالآن قائم).

والخلاصة تتركز في نقطتين :

أولاً : أن الضاد حرف تميزت به العربية عنأمها السامية وقد اختفى هذا الحرف في كل اللغات السامية الأصلية وبقي في العربيةمما يدل على نقاء وثبات أصول اللغة في أصواتها

ثانياً : أن تسمية العربية بلغة الضادلا أصل صحيح له من فهم الحديث النبوي المروي في ذلك والذي سبق ذكره (أنا أفصح العرب ...) ، كما أنها تسمية محدثة ولميتم الوقوف بدقة على أول صانع لها .

ثامناً :حديث (أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ) هل هو صحيح ؟

قال ابن كثير في تفسيره :

"وأما حديث أنا أفصح من نطق بالضاد فلا أصل لهوالله أعلم"[1].

وقال العجلوني في كشف الخفاء : "أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش"، قال في اللآلئ : معناه صحيح ولكن لا أصل له كما قالابن كثير وغيره من الحافظ وأورده أصحاب الغريب ولا يعرف له إسناد ورواه ابن سعد عنيحيى بن يزيد السعدي مرسلا بلفظ أنا أعربكم أنا من قريش ولساني لسان سعد بن بكر، ورواه الطبراني عن أبي سعيد الخدري بلفظ أنا أعرب العرب ولدت في بني سعد فاني يأتيني اللحن كذا نقله في مناهل الصفا بتخريج أحاديث الشفا للجلال السيوطي ثم قالفيه والعجب من المحلى حيث ذكره في شرح جمع الجوامع

١- تفسير ابن كثير (٣١/١) .

من غير بيان حاله وكذا من شيخالاسلام زكريا حيث ذكره في شرح الجزرية ومثله أنا أفصح العرب بيد أني من قريشوأورده أصحاب الغرائب ولا يعلم من أخرجه ولا إسناده [1].

وقال الملا عليالقاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة : "حديث أنا أفصح من نطق بالضاد معناه صحيح ولكن لا أصل له في مبناه كما قاله ابن كثير" [2].

وقال العلامة أحمد بن الحسن الجاربردي شارح الشافية في معناه أنا أفصح العرب ويؤيد هذا المعنى حديث آخر من أمثال هذا الحديث "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش" **والخلاصة في ذلك**: أن هذا الحديث لا يصح ، ولكن معناه صحيح.

تاسعاً : اختصاص القبائل العربية بحرفي الضاد والظاء أو الخلط بينهما

أما في جانب اختصاص القبائل والشعوب العربية في النطق بحرفي الضاد والظاء أو الخلط بينهما فيشير الدكتور رمضان عبدالتواب إلى خلط العرب بين الضاد والظاء فيقول: (تخلط بعض الشعوب العربية بين صوتي الضاد والظاء خلطًا كبيرًا في النطق والكتابة، كما هو الحال في بعض بلاد العراق وشمالي أفريقيا)[3]. وما ذكره عبدالتواب متوقّف فيه؛ ففي العراق خلط بين الحرفين في

١- الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس (٢٣٢/١) .
٣- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (١/ص١١٦) .
٣- مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٢١.

الكتابة لا النطق لأنه لا وجود للضاد الوقفية أو غير الوقفية في نطقهم، يقول سلمان العاني: (ولا تنطق الضاد في العراق سواء على المستوى المثقف أو الشعبي، إلا في لهجات بعض المسيحيين العراقيين)[1]. ومع أنها تمثل في الكتابة بحرف «ض» فإنها دائمًا تنطق بصوت [ظ] وليس [ض]. ولذلك فهي غير مميزة صوتيًّا (لأنها منصهرة مع الظاء)[2].

وربما يكون هذا الانصهار الذي أشار إليه العاني هو ما أراده رمضان عبدالتواب ولكنه لم يوفق إلى بيانه. فلعله قد أراد أنهم يخلطون الضاد بالظاء وهو أمر يختلف عن الخلط بينهما. ويؤيد ذلك ذهابه إلى أن الضاد في مصر لم تختلط بالظاء يقول: (وليس صوت الضاد الشائع في مصر وبلاد الشام بأسعد من صنوة في العراق وبلاد المغرب؛ إذ إنه تطور في اتجاه آخر من صوت الضاد القديم، وإن لم يختلط هنا بصوت الظاء، كما حدث في تلك البلاد)[3]. ولكن ما حدث هو تحول (الظاء) في مصر والشام إلى (الضاد) الوقفية أو زاي مفخمة؛ إذ ينطق بالضاد ما حقه أن ينطق بالظاء.

وقد قرر رمضان عبدالتواب ذلك في قوله: (وقد فقدت الظاء في اللهجة العامية المصرية كذلك وحلَّ محلَّها الضاد، مثل:ظِلّ ← ضِلّ؛ أو الزاي المفخمة؛ نحو: ظُلْم ← ژُلْم)[4].

١-وهو يقصد بالضاد هنا الوقفية المسموعة في مصر.

٢- سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية:فنولوجيا العربية، ترجمة ياسر الملاح، (جدة: النادي الأدبي، ١٩٨٣)، ص٧٤.

٣-مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٢١.

٤-رمضان عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة، ص٤٥.

وأما عن تحوّلها إلى زاي فلعلها الزاي الظائية التي وصفها ابن سينا بأنها (يكون وسطاللسان فيها أرفع والاهتزاز في طرف اللسان خفي جدًا)[١].

ويفسر إبراهيم أنيس هذا الصوت بأنه نطق الفرس للظاء العربية وأنه هو الظاء العامية نفسها، وتعد من الأصوات العربية وإن لم يرمز القدماء لها بصوت فهي تسمع في بعض القراءات القرآنية، وهذه الظاء العامية في الحقيقة زاي مفخمة[٢].

وذكر علي عبدالواحد وافي أن تحول الضاد إلى ظاء موجودة في (عامية المغرب وخاصة برقة، وفي لهجة العراق، وفي لهجة نجد، والقصيم وفي لهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر من الغرب (فبدلا من: وضوء، يضيع، يضرب، يضم...إلخ. يقال: وظوء، يظيع، يظرب، يظم ...إلخ)[٣].

وأما في لهجة شمال المغرب في تطوان وما حولها فإنهم يبدلونها دالاً كما في قولهم مْدْخَّمْ، مْدَغْ (مضخم ومضغ)، ويبدلونها طاء كما في قولهم:بْيَّطْ، لْحَامِطْ، رْطَعْ، ريَاطْ، طْحَكْ عْلِيْهْ، غْمَّط عينَ،فَطْ، في (بيّضَ، الحامض، رضع، الرياض، ضحك عليه، غمض عينيه، وفاض)[٤]. وأما (الظاء) فإنهم «يبدلونها ضادًا في قولهم: ضْلّ، ضلْمْ، ضّلاَمْ، ضْنّ، ضْهَرْ، نضَرْ، وْضَّفْ، في (الظل، الظلم،

١-ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، (٢٥).

٤- الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس (١٤٦-١٤٧).

١- علي عبدالواحد وافي، علم اللغة، (القاهرة: دار نهضة مصر، ط٦، ١٩٦٧)،ص٢٨٤.

٢-لهجة شمال المغرب"تطوان وما حولها"، لعبد المنعم عبد العال ، (القاهرة: دار الكاتب العربي ، ١٩٦٨)، ص٨٠.

الظلام، ظن، ظهر، النظر،وظفه) ، ويبدلونها طاء في قولهم: طهَارْ، لعطَمْ، لغليط، في(الظهر، العظم، الغليظ) ويبقونها فصحى في مثل قول لْمْظْلَّ، نَّاظِرْ، بالله لْعْظِيم، لغيظ)[1].

كما لا يزال الناس في البلاد النجدية وما جاورها لا يسمعون غير الظاء، فكل ما يكتب بالضاد ينطق ظاء كما هو الحال في العراق على نحو ما وصف العاني، ولم تعرف الضاد الوقفية في نجد إلا بعد توافد القراء من مصر والشام ونشرهم لطريقة أداء الضاد ومع ذلك ظل التمييز بين الصوتين غائبًا؛ وآية ذلك تظهر في تدوين أسماء الناس (الأعلام).

فنجد الاسم قد يكون رسمه المفترض بالضاد فيرسم بالظاء وقد يكون رسمه المفترض بالظاء فيرسم بالضاد، وكل ذلك راجع إلى أن الناس لا يفرقون في الاستعمال بين الحرفين، ولا يسمعونهما مختلفين[2].

ومن هنا يمكن لنا القول مع داود عبده: «ليس هناك لهجة معاصرة واحدة فيها كلا الصوتين الضاد والظاء. فاللهجات التي توجد فيها الضاد لا توجد فيها الظاء، والعكس صحيح»[3] .

٣-المرجع السابق (٨٠) .

١- إبراهيم الشمسان ، الضاد بين الشفاهية والكتابية ، مجلة الخطاب الثقافي العدد ٢ ، بتصرف

٢- داود عبده، من قضايا اللغة العربية، ص ١٠٥.

عاشراً : التأليف في الضاد والظاء وبيان الفرق بينهما

لاشك في أن الملاحظ بأن التأليف في مسألة الضاد والظاء والفرق بينهما يتخذ اتجاهين في من حيث التصنيف والتأليف :

الاتجاه الأول : يتمثل في العناية بالألفاظ التي تنطق بالضاد والظاء والاشتغال بحصرها وتأليف الرسائل في ذلك وهي مؤلفات تشبه المعاجم الصغيرة وهذا الاتجاه هو الذي استأثر بجهود اللغويين والنحاة وتركوا مؤلفات كثيرة تهتم بالتمييز الكتابي بين الضاد والظاء ولا تتعرض للتمييز النطقي بينهما وقد أحصى الدكتور حاتم الضامن في مقدمة تحقيقه لكتاب (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد لابن مالك) الكتب المؤلفة في ذلك حتى بلغت أكثر من أربعين كتابا .

والاتجاه الثاني : يتمثل ذلك بدراسة الخصائص النطقية لصوت الضاد اللسانية والانحرافات التي تلحقه على ألسنة الناطقين وتوضح الصورة الصحيحة لنطقه وكان لعلماء التجويد القسط الأوفى في هذا الدرب حتى أنهم ألفوا في ذلك المؤلفات المستقلة التي تهتم بنواحي النطق من غير أن تتعرض لحصر الألفاظ التي تكتب بالضاد أو الظاء .

وقد كان كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت ٢٢٥ هـ) من أوائل المؤلفات التي حفلت بالعديد من الملاحظات اللغوية الصوتية الخاصة بنطق غير العرب من الأعاجم المخالطين للعرب لبعض أصوات اللغة العربية ومن ضمنهم صوت الضاد.

قال موسى علوان في مقدمة تحقيقه لكتاب الزنجاني الفرق بين الضاد والظاء : (لم نجد حروفاً في العربية يصعب التفريق بين أصواتها وكتابتها خطأً سوى الضاد والظاء ، وإن كان العرب الأوائل لايصعب عليهم التفريق بينهما لأنهم في عهد السليقة أو على قرب منها ، ولم يحدث الالتباس إلا بعد أن أبتعد العرب عن جزيرتهم واختلطوا بغيرهم من القوميات فاستعصى التمييز بين الضاد والظاء على أحفادهم ، ونتيجة لذلك انبرى الغيارى من العلماء لوضع رسائل لأجل رفع الالتباس بين الضاد والظاء)[1]

ومن هنا يتضح لي جلياً أن التأليف قديماً والتأصيل لمسالة التفريق بين الضاد والظاء ماكان إلا بدافع خشية الالتباس في التشابه بين الحرفين في الصوت وهو من باب حرص العرب الأقدمين على لغتهم التي هي لغة القرآن ، والدفاع عن حياضها من التشويه الذي قد يطالها بسبب دخول الحروف الأعجمية على لغة القرآن الفصيحة وبالتالي الخوف من أن يحدث الخلط والغلط في قراءة القرآن .

وقد انبرى لجمع هذه المؤلفات وذكرها على سبيل المثال الدكتور رمضان عبدالتواب رحمة الله ، والدكتور حاتم الضامن و وجمال السيد الرفاعي في كتابة إتحاف الفضلاء وهو جهد لايدل إلا على حرص من اشتغل بهمّ تراثه والحفاظ عليه من هذه المؤلفات القديمة على سبيل المثال لا الحصر :

١- أبو بكر القيرواني (ت٣١٨هـ) له رسالة(الضاد والظاء)[2]

٢- الصاحب بن عباد ت(٣٨٥ هـ) له (الفرق بين الضاد والظاء)[1]

١- اتحاف الفضلاء في بيان من ألف في الضاد والظاء ، جمع وترتيب :جمال السيد الرفاعي الشايب ،
مكتبة السنة .

٢- ذكره السيوطي في بغية الوعاة (٢٩٣/١)

٣- أبو عمرو الداني ت(٤٤٤هـ) له رسالة في (الظاءات القرآنية)[٢]، وله كتاب (الفرق بين الضاد والظاء في كتاب الله عز وجل وفي المشهور من الكلام)[٣].

٤- أبو محمد القاسم بن علي الحريري ت(٥١٦هـ) ، له (الفرق بين الضاد والظاء) [٤]كما أن له مقامة اسمها المقامة الحلبية تقع في ١٩ بيتاً في الظاءات .

٥- أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ت (٥٧٧هـ) له (زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء)[٥] .

٦- ضياء الدين بان الأثير ت (٦٣٧ هـ) له رسالة في الضاد والظاء.

٧- جمال الدين عبد الله بن مالك النحوي ت (٦٧٢هـ) له أرجوزة في الضاد والظاء من ١٧٣ بيتاً .

٨- مكي بن أبي طالب ، له (أصول الظاء في القرآن والكلام وذكر مواضعها في القرآن)

٩- محمد المتولي له أرجوزه في مخرج الضاد والظاء ، وذكر أمور تتعلق بالضاد والظاء.

١- يوجد منه نسخه مخطوطه بمعهد المخطوطات نسخه عن مكتبة الفاتح باسطنبول .

٢- نشرها الدكتور محسن جمال الدين في بغداد عام ١٩٧٠ م و وحققها الدكتور علي حسن البواب .

٣- حققه الدكتور أحمد كوشك .

٤- يوجد منه نسخه بدار الكتب المصرية مكتبة تيمور ، ونسخه في برلين.

٥- حققه الدكتور رمضان عبد التواب ، ونشرته مكتبة الرسالة .

١٠- عبيد الله الأفغاني له كتابان مطبوعان (نظم الضاد) و (إعلام العباد بحقيقة النطق بالضاد مع استفتاء علماء الحرمين الشريفين) [١].

١١- ضاد العربية في ضوء القراءات القرآنية ، لعبد اللطيف محمد الخطيب .

١٢- الأقوال الجلية في الضاد الظائية والضاد الطائية ، لسيد بن أحمد بن عبد الرحيم.

من كل هذا وأكثر يتضح لي مدى ما شغلت قضية الضاد والظاء الأئمة الأعلام ، وكل هذا بسبب التباس صوت الضاد بالظاء ، وعسر التمييز بين الحرفين .

١- للتوسع في المزيد من المؤلفات انظر : إتحاف الفضلاء (١٠٦ وما بعدها) .

الخاتمة:

وفي الختام نحمده سبحانه وتعالى وأشكره على ما قد من الله تعالى علينا إتمام هذا البحث المتواضع، والذي ادعوا الله عز وجل أن ينفعني وينتفع به، فما كان فيه من صواب فمن الله سبحانه وتعالى، وتوفيقه وتدبيره ، فما كان منه من خطأ أو زلل فمن أنفسنا وأستغفر الله وأسأل الله تعالى العفو والمغفرة.

هذا وقد ظهر لي بعد التجوال في بدائع الفوائد الجلية من هذا الموضوع نتائج أسوقها لتعم بها الفائدة إن شاء الله وهي :

١/ قلب الضاد ظاءً هو الخطأ الشائع في نطقها.

٢/أن حرف الضاد هو الحرف الوحيد الذي تتميز به اللغة العربية عن اللغات السامية

الأخرى.

٣/ يعتبر حرف الضاد والظاء من الأحرف القوية لأن معظم صفاتها صفات قوة إذ لا

يوجد فيها إلا صفة ضعف واحدة.

٤/يعتبر حرف الضاد والظاء من الأحرف المفخمة دائماً .

تم بحمد الله وتوفيقه

أهم المصادر والمراجع:

١/ إبراهيم الشمسان ، الضاد بين الشفاهية والكتابية ، مجلة الخطاب الثقافي العدد ٢ ، بتصرف .

٢/ ابن سينا، أسباب حدوث الحروف.

٣/ اتحاف الفضلاء في بيان من ألف في الضاد والظاء ، جمع وترتيب: جمال السيد الرفاعي الشايب.

٤/ الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة.باحث ولغوي وأكاديمي معروف، كانت له زاوية أسبوعية بجريدة الرياض بعنوان: (كشكول)، توفي بالرياض عام ١٤١٩ هـ .

٥/ الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس.

٦/ الأقوال الجلية في الضاد الظائية والضاد الطائية، السيد بن أحمد بن عبد الرحيم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ _٢٠٠٣م.

٧/ بحث بعنوان (صوت الضاد الفصيحة التي نزل بها القرآن) لأستاذ سيد عرباوي.

٨/ البيان والتبيين للجاحظ.داود عبده، من قضايا اللغة العربية.مكتبة السنة.

٩/ الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس.

١٠/الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: أ.د/أحمد حسن فرحات، عمان : دار عمار، الطبعة الخامسة، ١٤٢٨هـ _٢٠٠٨م.

١١/ النشر: لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي.

١٢/ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة.

١٣/ سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية: فنولوجيا العربية، ترجمة ياسر الملاح، جدة: النادي الأدبي.

١٤/ شرح المقدمة الجزريه في علم التجويد: لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري(ت٩٢٦هـ)، علق عليه محمد غياث صباغ، الطبعة الرابعة، ١٤٢٧هـ_٢٠٠٦م.

١٥/ شرح ديوان المتنبي ، لعبد الرحمن البرقوقي، المجلد الأول، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط١٤٠٧ – ١٩٨٦ م .

١٦/ الصاحبي" تحقيق ونشر محب الدين الخطيب - المكتبة السلفية – القاهرة، ١٩١٠م.

١٧/ ضاد العربية في ضوء القراءات القرآنية، د.عبد اللطيف محمد الخطيب، عالم الكتب الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ_٢٠٠١م.

١٨/ علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، (القاهرة: دار نهضة مصر، ط٦، ١٩٦٧م).

١٩/لسان العرب٥:/٤٤٧ مادة (ض و د) لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور،:١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م القاهرة : دار الحديث.

٢٠/لهجة شمال المغرب"تطوان وما حولها"، لعبد المنعم عبد العال، (القاهرة: دار

الكاتب العربي ، ١٩٦٨م.

٢١/مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٢١.

٢٢/مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب،عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ _٢٠٠٤م، ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة: عبد العزيز بن عبد الرحمن بن باز (ت: ١٤٢٠هـ) - رحمه الله . ١٢/ ٩٨- ٩٩، جمع وترتيب د.محمد بن سعد الشويعر.رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، الطبعة الثانية١٤٢١هـ.

٢٣/هداية القاري إلى تجويد كلام الباري:لعبد الفتاح السيد عجمي المرصفي مكتبة دار الفجر الإسلامية المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م ١/٦٦،